المجلد 4، العـدد1 ص150 -170 Volume 4, Issue 1 (2026)

من النقش إلى الرواية: توظيف اللسانيات في قراءة الوثائق التاريخية

منى أحمد محمود أبو حمدية

وزارة السياحة والآثار (فلسطين)

Tracing the Shift from Inscription to Narrative: Linguistic Tools in Historical Textual Interpretation

Mona Ahmad Mahmoud Abu Hamdieh

https://orcid.org/0009-0002-0228-9103

The Palestinian Ministry of Tourism and Antiquities (Palestine), muna.ahmad.hamdieh@gmail.com

تاريخ الاستلام:3 / 10 /2025 تاريخ القبول:01 / 11 / 2025 تاريخ النشر: 01 / 04 / 2026

الملخص:

يسعى هذا البحث إلى مقاربة الدور الذي تؤديه اللسانيات في قراءة الوثائق التاريخية، منذ النقوش الأولى وصولاً إلى الرواية الحديثة. فاللغة ليست مجرد وعاء ناقل للتاريخ، بل هي أداة تكوينية في صياغة الهوية والمعنى، وفي تمثيل السلطة والذاكرة الجماعية.

يعتمد البحث على المنهج اللساني-التاريخي، من خلال تحليل نصوص منقوشة وأخرى مخطوطة، ثم الانتقال إلى الوثائق الرسمية والرواية التاريخية المعاصرة. وقد أبرزت النتائج أن اللغة في النقوش كانت أداة لتثبيت السلطة السياسية والشرعية الدينية، بينما لعبت المخطوطات دوراً في بناء السرديات الثقافية والعلمية. أما الوثائق الرسمية فتعكس التوتر بين الخطاب السياسي والذاكرة الشعبية، في حين تسعى الرواية إلى إعادة تأويل التاريخ بلغة جمالية مقاومة.

يكشف البحث أن توظيف الأدوات اللسانية، مثل التحليل الدلالي والتداولي والسيميائي، يمنح قراءة أكثر عمقاً للوثائق، ويعيد فهم علاقتها بالهوية والتاريخ.

كلمات مفتاحية: اللسانيات، النقوش، المخطوطات، الوثائق، الرواية، التاريخ، الهوية.

Abstract:

This study explores the role of linguistics in reading historical documents, from early inscriptions to modern narrative forms. Language is not merely a medium that records history; it is a constitutive tool for shaping identity, meaning, authority, and collective memory.

The research applies a linguistic-historical approach, analyzing inscriptions, manuscripts, official documents, and contemporary historical novels. Findings indicate that inscriptions served as instruments of political legitimacy and religious authority, while manuscripts contributed to the construction of cultural and scientific narratives. Official documents reveal the tension between political discourse and popular memory, whereas the novel reinterprets history through aesthetic and resistant language.

The study demonstrates that employing linguistic tools—such as semantic, pragmatic, and semiotic analysis—offers deeper insights into historical texts and redefines their relation to identity and history.

Keywords: linguistics, inscriptions, manuscripts, documents, narrative, history, identity.

مقدمة:

تُعد اللغة من أبرز الأدوات التي استخدمها الإنسان في تسجيل تاريخه، ليس فقط بوصفها وسيلة للتواصل، بل باعتبارها بنية معرفية وثقافية تُشكّل الوعي وتُعيد إنتاج السلطة والهوية. فاللغة ليست مجرد نظام رمزي يُستخدم لنقل المعلومات، بل هي منظومة دلالية تُنتج المعنى، وتُعيد تشكيل الواقع، وتُمارس فعلًا تأويلياً يُعيد بناء العالم من خلال الكلمات. ومنذ النقوش الأولى على جدران المعابد والصخور، مروراً بالمخطوطات والوثائق الرسمية، وصولاً إلى الرواية التاريخية المعاصرة، ظلّت اللغة حاضرة بوصفها وسيطاً ومُنتِجاً للمعنى، تُعبّر عن رؤية الإنسان للعالم، وتُعيد تشكيل علاقته بالزمن، والسلطة، والهوية (الطراونة، 2018).

هذا الحضور اللغوي لا يمكن فصله عن السياقات الاجتماعية والسياسية التي أنتجته، مما يجعل من اللسانيات أداة منهجية فعّالة في تحليل الوثائق التاريخية وفهم مضامينها العميقة. فالوثيقة التاريخية، مهما كان نوعها، تُنتج ضمن سياق تداولي وسيميائي، وتُخاطب جمهوراً مفترضاً، وتُبنى على افتراضات مسبقة، مما يجعل من تحليلها ضرورة لفهم كيف تُمارس السلطة عبر اللغة، وكيف تُبنى الرمزية، وكيف يُوجّه التأويل.(Ifversen, 2002)

لقد شهدت الدراسات التاريخية في العقود الأخيرة تحولاً نوعياً، حيث لم تعد الوثيقة تُقرأ بوصفها سجلاً محايداً للوقائع، بل باعتبارها خطاباً يحمل في طياته تمثيلات السلطة، وتوترات الهوية، واستراتيجيات التذكّر والنسيان .(Chartier, 1997) هذا التحول المنهجي يُعيد تعريف الوثيقة بوصفها نصاً لغوياً يُنتج ضمن سياق اجتماعي وثقافي، ويُمارس وظيفة رمزية تُعيد تشكيل العلاقة بين الفرد والمجتمع، وبين الماضي والحاضر.

في هذا السياق، تبرز اللسانيات بوصفها منهجاً قادراً على تفكيك البنية اللغوية للوثائق، وتحليل دلالاتها وسياقاتها التداولية والسيميائية، مما يُمكّن الباحث من إعادة تأويل التاريخ من خلال اللغة ذاتها. فالتحليل اللساني لا يقتصر على دراسة المفردات والتراكيب، بل يمتد إلى تحليل أفعال الكلام، والافتراضات المسبقة، واستراتيجيات الإقناع، مما يُتيح فهماً أعمق للعلاقة بين النص وسياقه، وبين المتكلّم والمخاطَب، وبين اللغة والسلطة.(Pan, 2021)

وقد أظهرت الدراسات الحديثة في اللسانيات التاريخية أن اللغة تُستخدم لتثبيت الشرعية، وتوجيه التأويل، وبناء الرمزية، مما يجعل من الوثيقة التاريخية أداة تُمارس السلطة بوسائل لغوية. فالنقوش القديمة، على سبيل المثال، لا تُعبّر فقط عن أحداث أو أسماء ملوك، بل تُجسّد فعلًا سلطوياً يرمي إلى تثبيت الشرعية السياسية والدينية في الفضاء العام. كما أن المخطوطات تُشكّل فضاءً معرفياً يُعبّر عن رؤية العالم في سياقها التاريخي، وتُعيد إنتاج المرجعيات الفكرية والدينية من خلال اللغة.(Grossman & Cromwell, 2018)

من جهة أخرى، تُظهر الوثائق الرسمية الحديثة توتراً بين الخطاب السياسي والذاكرة الشعبية، حيث تُحاول السلطة فرض سردية رسمية تُعبّر عن مصالحها، بينما تُقاوم الجماعة عبر أشكال متعددة من التذكّر والتأويل. وتُظهر الدراسات اللسانية أن اللغة المستخدمة في هذه الوثائق غالباً ما تكون تقنية، بيروقراطية، ومُحايدة ظاهرياً، لكنها تُخفي في بنيتها اختيارات أيديولوجية تُعيد إنتاج التراتب الاجتماعي والسياسي.(Ifversen, 2000)

أما الرواية التاريخية المعاصرة، فقد أصبحت فضاءً سردياً يُعيد كتابة التاريخ من منظور جمالي وتأويلي، يُفكك الخطاب الرسمي، ويُعيد بناء الذاكرة من خلال اللغة. وقد أشار لويس مونتروز إلى ضرورة دراسة "نصّية التاريخ وتاريخية النص"، مما يُبرز أهمية التحليل اللساني في فهم كيف تُستخدم اللغة في بناء السرديات، وتوجيه التأويل، وتشكيل الهوية. (Montrose,1997

إن المنهج اللساني يُعيد مساءلة الوثيقة بوصفها خطاباً لغوياً يُنتج ضمن سياقات سلطوية، ويُسهم في بناء سرديات تُكرّس أو تُقاوم الهيمنة الرمزية. وهو بذلك يُعيد تعريف العلاقة بين اللغة والتاريخ، ويُفسح المجال لتحليل الوثائق بوصفها نصوصاً حيّة تُعيد تشكيل السلطة، والهوية، والذاكرة. وقد أشار بول ريكور إلى أن "اللغة ليست مجرد وسيلة لنقل المعنى، بل هي بنية تُعيد تشكيل الزمن، وتُعيد بناء العلاقة بين الذات والماضي.(Ricœur, 1999) "

كما أن التحليل اللساني يُسهم في كشف البنية الإيديولوجية للوثائق، من خلال تحليل كيف تُستخدم اللغة لتشكيل الهوية، وتحديد من هو "الآخر"، وكيف تُبنى الحدود الرمزية بين الجماعة والمغاير، بين المركز والهامش، وبين السلطة والمقاومة. فكل وثيقة تحمل في بنيتها آثاراً أيديولوجية تُعيد تشكيل الهوية، وتُكرّس التراتب الاجتماعي والسياسي، مما يجعل من تحليلها ضرورة لفهم كيف تُبنى السرديات، وكيف تُقاوم، وكيف تُعاد كتابتها (الحموري، 2020).

إن هذا البحث ينطلق من قناعة بأن اللغة ليست مجرد أداة للتوثيق، بل هي وسيط معرفي يُعيد تشكيل التاريخ من خلال التمثيل اللغوي. ومن خلال المنهج اللساني، يمكن للباحث أن يُعيد قراءة الوثائق التاريخية بوصفها نصوصًا تُنتج المعنى، وتُعيد بناء السلطة، وتُشكّل الهوية، وتُعيد إنتاج الذاكرة الجماعية. وهو بذلك يُسهم في تطوير وعي نقدي يُعيد مساءلة الماضي، ويُفسح المجال لتعدّد السرديات، ويُعيد الاعتبار للتجربة الإنسانية في سياقها التاريخي.

أهداف الدراسة:

يهدف هذا البحث إلى استكشاف الإمكانات التي تتيحها اللسانيات في تحليل الوثائق التاريخية، من خلال مقاربة نقدية تُعيد مساءلة النصوص بوصفها منتجات لغوية مشحونة بالسلطة والهوية والذاكرة. وينطلق من تحليل نماذج متنوعة تشمل النقوش القديمة، والمخطوطات العلمية والدينية، والوثائق الرسمية الحديثة، والرواية التاريخية المعاصرة، وذلك ضمن إطار لساني-تاريخي يُراعي السياقات التداولية والسيميائية التي تُنتج فيها هذه الوثائق. وتتمثل الأهداف الرئيسة للدراسة فيما يلي:

أولاً: توضيح دور أدوات التحليل اللساني في تعميق فهم الوثائق التاريخية يُسعى من خلال هذا الهدف إلى إبراز كيف تُسهم أدوات التحليل الدلالي والتداولي والسيميائي في تفكيك البنية اللغوية للوثائق، وكشف طبقات المعنى، وتحديد الاستراتيجيات الخطابية التي تُستخدم في بناء السلطة وتوجيه التأويل. ويُظهر البحث أن هذه الأدوات تُتيح قراءة متعددة المستويات للنص، تُراعي البنية اللغوية والسياق التداولي والرمزي، مما يُفسح المجال لفهم أعمق لكيفية إنتاج الخطاب التاريخي.

ثانياً: الكشف عن العلاقة بين اللغة والسلطة والهوية والذاكرة الجماعية يُركّز هذا الهدف على تحليل كيف تُستخدم اللغة في الوثائق التاريخية لتثبيت الشرعية، وتشكيل الهوية، وإعادة إنتاج الذاكرة الجماعية. ويُبيّن أن اللغة تُمارس وظيفة سلطوية تُعيد بناء العلاقة بين الفرد والمجتمع، وتُحدّد من هو "الآخر"، وتُكرّس التراتب الرمزي بين المركز والهامش. كما يُظهر أن الوثائق تُسهم في بناء الذاكرة من خلال اختيار ما يُذكر وما يُنسى، مما يجعل من اللغة أداة تُعيد تشكيل الماضي وتُوجّه الحاضر.

ثالثاً: إعادة مساءلة التاريخ من خلال اللغة بوصفها أداة نقدية وتأويلية ينطلق هذا الهدف من قناعة بأن اللغة ليست مجرد وسيلة لنقل الوقائع، بل هي أداة معرفية تُعيد بناء التاريخ من خلال التأويل. ويُسعى إلى إثبات أن التحليل

اللساني يُمكّن من تفكيك الخطاب الرسمي، واستحضار الأصوات المهمّشة، وتقديم سرديات بديلة تُقاوم النسيان. كما يُبرز أن اللغة تُمارس فعلاً نقدياً يُعيد مساءلة الوثيقة، ويُفسح المجال لتعدّد السرديات، ويُعيد الاعتبار للتجربة الإنسانية في سياقها التاريخي.

الأسس القانونية للدراسة

تستند هذه الدراسة إلى أن الوثائق التاريخية، بما في ذلك النقوش والمخطوطات والوثائق الرسمية، تُعد مصادر أولية ذات طابع قانوني ومعرفي، تخضع لمنظومات الحفظ والتوثيق المعتمدة في الأطر الوطنية والدولية للأرشفة والتراث. وتُعامل هذه الوثائق بوصفها شواهد رسمية تُسهم في بناء السرديات التاريخية، وتُعزز من شرعية التوثيق الثقافي. ويأتي التحليل اللساني لهذه الوثائق منسجماً مع القوانين والتشريعات التي تنظم حماية التراث الثقافي، إذ لا يُعد تدخّلاً في مضمونها القانوني، بل يُسهم في تفسيرها وتأويلها ضمن سياقاتها التاريخية والاجتماعية، ويُفعّل دورها في إنتاج المعرفة وتثبيت الهوية.

إشكالية البحث وأهميته

تنبثق الإشكالية المركزية لهذا البحث من التساؤل التالي: كيف يُمكن للمنهج اللساني أن يُعيد قراءة الوثائق التاريخية بوصفها خطابات لغوية مشحونة بالسلطة، والهوية، والذاكرة، لا مجرد سجلات محايدة للوقائع؟ إذ تنطلق الدراسة من رؤية نقدية تعتبر أن الوثيقة التاريخية تُنتج ضمن سياقات اجتماعية وثقافية وسياسية، وتُمارس وظيفة رمزية تُعيد تشكيل الماضي وفقاً لمصالح الحاضر.

وتتفرّع عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية التي تُوجّه مسار التحليل، منها:

- ما الدور الذي لعبته اللغة في النقوش والمخطوطات في بناء الشرعية وتكريس السرديات التاريخية؟
- كيف تُعبّر الوثائق الرسمية عن التوتر القائم بين الخطاب السياسي والذاكرة الشعبية؟
- ما الأدوات اللغوية التي تُوظّفها الرواية التاريخية المعاصرة لإعادة تأويل الماضي وتفكيك الخطاب الرسمي؟

أهمية البحث

تتجلّى أهمية هذا البحث في كونه يُقدّم مقاربة منهجية جديدة لتحليل الوثائق التاريخية، من خلال توظيف أدوات التحليل اللساني (الدلالي، التداولي، السيميائي) لفهم كيف تُنتج اللغة المعنى، وتُمارس السلطة، وتُعيد بناء الهوية والذاكرة. كما يُسهم البحث في تطوير وعي نقدي يُعيد مساءلة الوثيقة التاريخية، ويُفسح المجال لتعدّد السرديات، ويُعيد الاعتبار للتجربة الفلسطينية في سياقها اللغوي والثقافي.

ويكتسب البحث أهمية خاصة في السياق الفلسطيني، حيث تُمارس الوثائق دوراً محورياً في تثبيت الحق، وتوثيق النكبة، ومقاومة الطمس الرمزي. ومن خلال تحليل النقوش، والمخطوطات، والوثائق الرسمية، والرواية التاريخية، يُسهم البحث في كشف كيف تُستخدم اللغة بوصفها أداة مقاومة تُعيد بناء التاريخ من منظور شعبي، وتُكرّس الحضور الفلسطيني في مواجهة السرديات المهيمنة.

فرضيات البحث

ينطلق البحث من مجموعة من الفرضيات النظرية التي تُوجّه مسار التحليل، وتُشكّل الأساس المنهجي للدراسة، وهي:

1. **اللغة في الوثائق التاريخية ليست محايدة**، بل تُستخدم بوصفها أداة سلطوية تُكرّس الشرعية، وتُعيد إنتاج الهوية، وتُوجّه التأويل ضمن سياقات اجتماعية وسياسية محددة.
2. **التحليل اللساني يُمكّن من تفكيك الخطاب التاريخي**، وكشف استراتيجيات التمثيل، وتحديد البنية التداولية والسيميائية التي تُعيد تشكيل العلاقة بين النص وسياقه، وبين المتكلّم والمخاطَب.

3. **الرواية التاريخية المعاصرة تُوظّف اللغة بوصفها أداة مقاومة**، تُعيد بناء الذاكرة الجماعية، وتُفكك الخطاب الرسمي، وتُعيد الاعتبار للتجربة المهمّشة، مما يجعل منها فضاءً سردياً يُسهم في بناء وعي نقدي يُعيد مساءلة الماضي.

منهجية البحث

يرتكز هذا البحث على المنهج اللساني-التاريخي، الذي يُعد من المناهج النقدية المركّبة، ويجمع بين تحليل البنية اللغوية للوثائق التاريخية، وفهم سياقاتها التداولية والسيميائية، ضمن إطارها الزمني والاجتماعي والثقافي. ويقوم هذا المنهج على افتراض أن الوثيقة التاريخية ليست مجرد سجل للوقائع، بل خطاب لغوي يُنتج ضمن سياق سلطوي، ويُمارس وظيفة رمزية تُعيد تشكيل العلاقة بين اللغة والتاريخ، وبين الفرد والمجتمع.(Ifversen, 2002)

ينطلق المنهج اللساني-التاريخي من رؤية تُعيد تعريف الوثيقة بوصفها نصاً حيّاً تُنتج فيه اللغة المعنى، وتُمارس السلطة، وتُبنى الهوية، وتُعاد كتابة الذاكرة. وهو بذلك يُخالف التصورات التقليدية التي تعاملت مع الوثائق بوصفها مصادر "موضوعية"، ويُفسح المجال لتحليلها بوصفها تمثيلات لغوية تُعيد إنتاج الواقع من خلال التمثيل النصي.(Pan, 2021)

ويُعتمد في هذا البحث على ثلاث أدوات تحليلية رئيسية:

أولاً: التحليل الدلالي

يُركّز التحليل الدلالي على دراسة الحقول المعجمية، والعلاقات الدلالية، والانزياحات اللغوية التي تُنتج المعنى وتُعيد تشكيله. فكل وثيقة تحمل في لغتها آثاراً دلالية تُعبّر عن السياق الذي أُنتجت فيه، وعن السلطة التي تُوجّه الخطاب. ومن خلال هذا التحليل، يمكن رصد كيف تُستخدم اللغة لتثبيت الشرعية، أو لتهميش روايات بديلة، أو لإعادة بناء الهوية الجماعية. (Halliday & Hasan, 1989)

ثانياً: التحليل التداولي

أما التحليل التداولي، فيُعنى بدراسة أفعال الكلام، والافتراضات المسبقة، واستراتيجيات الإقناع، مما يُتيح فهماً أعمق للعلاقة بين المتكلّم والمخاطَب، وبين النص وسياقه. فالوثيقة لا تُنتج في فراغ، بل تُوجَّه إلى جمهور محدّد، وتُبنى على توقعات تداولية تُحدّد كيف تُفهم، وتُفسّر، وتُؤوّل. كما أن التحليل التداولي يُسهم في الكشف عن التوترات الكامنة في النص، بين الظاهر والمضمر، وبين القول والسكوت، وبين السلطة والمقاومة.(Sperber & Wilson, 1995)

ثالثاً: التحليل السيميائي

يُسهم التحليل السيميائي في تفكيك الرموز والعلامات غير اللفظية التي تُرافق النص، مثل الصور، الأيقونات، الألوان، والتصميم البصري. فهذه العناصر تُنتج معنى موازٍ للغة، وتُعزّز من سلطة الوثيقة، أو تُعيد تشكيل علاقتها بالذاكرة والهوية. ومن خلال هذا التحليل، يمكن فهم كيف تُبنى السلطة الرمزية، وكيف تُمارس عبر الوسائط المتعددة، مما يُعيد ربط الوثيقة بالفضاء الثقافي الذي أُنتجت فيه.(Kress & van Leeuwen, 2006)

اختيار النماذج المدروسة

تم اختيار أربع نماذج وثائقية متنوعة، تُعبّر عن أنماط مختلفة من التمثيل اللغوي، وتُتيح للمنهج اللساني أن يُمارس أدواته التحليلية بمرونة وعمق:

1.نقوش قديمة تُجسّد السلطة والشرعية

تُعد النقوش من أقدم أشكال التعبير اللغوي، وقد ارتبطت وظيفتها منذ البداية بتثبيت السلطة السياسية والدينية. وهي تُنقش على جدران المعابد، بوابات المدن، والصخور البارزة، لتُخاطب الجماعة وتُكرّس سردية الحاكم أو المؤسسة. ومن

خلال تحليلها دلالياً وتداولياً وسيميائياً، يمكن فهم كيف تُستخدم اللغة والصورة في بناء الشرعية، وتوجيه الذاكرة، وتكريس السلطة الرمزية (الحموري، 2020).

.2مخطوطات تُعبّر عن سرديات معرفية ودينية

تمثل المخطوطات فضاءً معرفياً وثقافياً بالغ الأهمية، حيث تُعبّر عن رؤية العالم في سياقها التاريخي، وتُسهم في بناء سرديات علمية ودينية وفلسفية. ومن خلال تحليل بنيتها اللغوية، يمكن فهم كيف تُعيد إنتاج المرجعيات، وتُوجّه التأويل، وتُكرّس السلطة المعرفية. كما أن الهوامش والتعليقات تُعد أدوات تداولية تُعيد إنتاج النص وتُفسّره عبر الزمن (Grossman & Cromwell, 2018).

.3وثائق رسمية تُظهر التوتر بين السلطة والذاكرة

تُعد الوثائق الرسمية الحديثة من أكثر أنواع الوثائق تعقيداً من الناحية التداولية، إذ تجمع بين اللغة القانونية، والإدارية، والسياسية، وتُستخدم لتثبيت القرارات، وتنظيم العلاقات، وتحديد الحقوق والواجبات. ومن خلال تحليلها، يمكن فهم كيف تُمارس السلطة عبر اللغة، وكيف تُبنى الذاكرة الرسمية، وكيف تُقاوم الجماعة عبر أشكال متعددة من التذكّر والتأويل.(Ifversen, 2000)

.4روايات تاريخية تُعيد كتابة الماضي بلغة جمالية مقاومة

أما الرواية التاريخية المعاصرة، فقد أصبحت فضاءً سردياً يُعيد كتابة التاريخ من منظور جمالي وتأويلي، يُفكك الخطاب الرسمي، ويُعيد بناء الذاكرة من خلال اللغة. ومن خلال التحليل اللساني، يمكن فهم كيف تُستخدم اللغة في بناء السرديات البديلة، وتوجيه التأويل، وتشكيل الهوية، مما يجعل من الرواية أداة سردية تُسهم في بناء وعي نقدي يُعيد مساءلة الماضي (Montrose, 1997).

مبررات اختيار المنهج

تم اختيار المنهج اللساني-التاريخي لعدة اعتبارات:

- أولاً، لأنه يُتيح تحليلاً متعدد المستويات للوثائق، يجمع بين البنية اللغوية والسياق التداولي والسيميائي.
- ثانياً، لأنه يُعيد ربط الوثيقة بالسلطة، والهوية، والذاكرة، مما يُفسح المجال لفهم كيف تُستخدم اللغة في إنتاج التاريخ.
- ثالثاً، لأنه يُسهم في تطوير وعي نقدي يُعيد مساءلة الماضي، ويُفسح المجال لتعدّد السرديات، ويُعيد الاعتبار للتجربة الإنسانية في سياقها التاريخي.

المبحث الأول

اللسانيات كمدخل منهجي لقراءة الوثائق التاريخية

المطلب الأول: اللغة بوصفها أداة معرفية وسلطوية:

تُعد اللغة من أبرز الأدوات التي استخدمها الإنسان في بناء حضارته وتسجيل تاريخه، فهي ليست مجرد وسيلة للتواصل، بل بنية معرفية وثقافية تُنتج المعنى وتُعيد تشكيل الوعي الجمعي .ومنذ اللحظة التي بدأ فيها الإنسان ينقش رموزه على جدران الكهوف والمعابد، كانت اللغة حاضرة بوصفها أداة للتمثيل الرمزي، تُعبّر عن علاقة الإنسان بالعالم، وتُعيد إنتاج السلطة والمعرفة والهوية .(Assmann, 2011)

هذا الحضور الكثيف للغة في الوثائق التاريخية لا يمكن فصله عن السياقات الاجتماعية والسياسية التي أنتجته، مما يجعل من اللسانيات أداة تحليلية فعّالة لفهم تلك الوثائق وتأويلها .فالوثيقة ليست كياناً محايداً، بل خطاباً لغوياً مشحوناً بالتمثيلات، يُنتج ضمن سياقات سلطوية تُحدّد من يكتب، ولمن يُكتب، وكيف يُكتب .(Fairclough, 1995)

النقوش القديمة، على سبيل المثال، لا تُعبّر فقط عن أحداث أو أسماء ملوك، بل تُجسّد فعلاً سلطوياً يرمي إلى تثبيت الشرعية السياسية والدينية في الفضاء العام .فالنقش، بوصفه خطابًا لغويًا محفوراً في الحجر، يحمل في طياته رمزية القوة والديمومة، ويُخاطب الجماعة بوصفها جمهوراً متلقّياً للرسالة السلطوية .(Eco, 1976) كما أن اختيار (مواضع النقوش بوابات المدن، جدران المعابد، ساحات التجمع) يُضفي عليها طابعاً شعائرياً يُعزز من سلطتها التداولية، ويُكرّس حضورها في الذاكرة الجمعية .(Chartier, 1997)

أما المخطوطات، فقد شكّلت فضاءً معرفياً وثقافياً بالغ الأهمية، حيث ساهمت في بناء سرديات علمية ودينية وفلسفية، تُعبّر عن رؤية العالم في سياقها التاريخي .فاللغة في المخطوطات ليست محايدة، بل تُستخدم لتأطير المفاهيم، وتوجيه التأويل، وترسيخ المرجعيات المعرفية .(Petrucci, 1999)كما أن العلاقة بين الكاتب والقارئ في المخطوطة تُبنى على افتراضات تداولية تُحدّد من يملك سلطة القول، ومن يُخاطَب، وكيف تُبنى الحجج وتُقدَّم المعرفة .(Halliday & Hasan, 1989)

في المقابل، تعكس الوثائق الرسمية الحديثة توتراً بين الخطاب السياسي والذاكرة الشعبية .فهي تُحاول فرض سردية رسمية تُعبّر عن مصالح السلطة، بينما تُقاوم الجماعة عبر أشكال متعددة من التذكّر والتأويل .وتُظهر الدراسات اللسانية أن اللغة المستخدمة في هذه الوثائق غالباً ما تكون تقنية، بيروقراطية، ومُحايدة ظاهرياً، لكنها تُخفي في بنيتها اختيارات أيديولوجية تُعيد إنتاج التراتب الاجتماعي والسياسي .(Van Dijk, 2008)

من جهة أخرى، تُقدّم الرواية التاريخية المعاصرة نموذجاً فنياً يعيد كتابة التاريخ بلغة جمالية مقاومة، تُفكك الخطاب الرسمي وتُعيد بناء الذاكرة من منظور ذاتي أو جماعي .وهنا تبرز أهمية التحليل اللساني في فهم كيف تُستخدم اللغة لتشكيل المعنى، وتوجيه التأويل، وبناء الرمزية .فالرواية لا تُعيد فقط سرد الوقائع، بل تُعيد بناء العالم من خلال اللغة، وتُمارس فعلًا تأويلياً يُزعزع السرديات المهيمنة .(White, 1987)

المطلب الثاني: التحول في قراءة الوثائق التاريخية:

شهدت الدراسات التاريخية، منذ النصف الثاني من القرن العشرين، تحولاً نوعياً في مقاربتها للوثائق. فلم تعد الوثيقة تُقرأ بوصفها سجلاً محايداً للوقائع، بل باعتبارها خطاباً لغوياً مشحوناً بالتمثيلات، والتوترات، والاستراتيجيات الرمزية . وقد ساهمت أعمال باحثين مثل ميشيل فوكو، وهايدن وايت، وروجر شارتتييه، في زحزحة الوثيقة من موقعها التقليدي كمصدر "موضوعي"، إلى كونها نصاً يُنتج السلطة ويُعيد تشكيل الذاكرة .(Foucault, 1972; Chartier, 1997)

في هذا السياق، تبرز اللسانيات بوصفها منهجًا قادراً على تفكيك البنية اللغوية للوثائق، وتحليل دلالاتها وسياقاتها التداولية والسيميائية . فالوثيقة، مهما كان نوعها (نقش، مخطوطة، مرسوم، رواية)، هي نص لغوي يُنتج المعنى من خلال بنيته، وسياقه، وجمهوره المفترض .ومن خلال أدوات التحليل اللساني، يمكن الكشف عن الطبقات العميقة للخطاب، وتفكيك آليات التمثيل، ورصد التوترات بين الظاهر والمضمر، وبين القول والسكوت .(Historical Discourse Analysis, 2025)

ان التحليل الدلالي يُمكّن الباحث من تتبّع الحقول المعجمية، والعلاقات الدلالية، والانزياحات اللغوية التي تُنتج المعنى وتُعيد تشكيله .فكل وثيقة تحمل في لغتها آثاراً دلالية تُعبّر عن السياق الذي أُنتجت فيه، وعن السلطة التي تُوجّه الخطاب .(Halliday & Hasan, 1989)أما التحليل التداولي، فيُركّز على أفعال الكلام، والافتراضات المسبقة، واستراتيجيات الإقناع، مما يُتيح فهمًا أعمق للعلاقة بين المتكلّم والمخاطَب، وبين النص وسياقه .(Fairclough, 1995)

يُسهم التحليل السيميائي في تفكيك الرموز والعلامات غير اللفظية التي تُرافق النص، مثل الصور، الأيقونات، الألوان، والتصميم البصري .فهذه العناصر تُنتج معنى موازٍ للغة، وتُعزّز من سلطة الوثيقة، أو تُعيد تشكيل علاقتها بالذاكرة والهوية .(Barthes, 1977)ومن خلال هذا التحليل، يمكن فهم كيف تُبنى السلطة الرمزية، وكيف تُمارس عبر الوسائط المتعددة.

إن الجمع بين هذه الأدوات يُمكّن الباحث من بناء قراءة نقدية متعددة المستويات، تُعيد مساءلة الوثيقة بوصفها خطاباً لغوياً مشحوناً بالسلطة، لا مجرد سجل للوقائع .وهو بذلك يُسهم في تطوير منهجية تحليلية تُراعي تعقيد النص التاريخي، وتُفسح المجال لتعدّد التأويلات والرؤى .(Bourdieu, 1991)

مثال تطبيقي: نقش قبة الصخرة في القدس

يُعد نقش قبة الصخرة من أبرز النقوش الإسلامية في فلسطين، وقد كُتب بالخط الكوفي على واجهات المبنى الداخلي والخارجي، ويعود إلى عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان عام 691م.

من منظور لساني، يُظهر هذا النقش كيف تُستخدم اللغة لتثبيت الشرعية الدينية والسياسية، حيث يتضمن آيات قرآنية تُؤكد وحدانية الله، مما يُعبّر عن موقف سياسي وديني في سياق التنافس مع المسيحية البيزنطية آنذاك (التميمي، 2017).

كذلك فمن منظور التحليل الدلالي للنقش يُظهر اختياراً دقيقاً للألفاظ القرآنية التي تُكرّس العقيدة الإسلامية، مثل "الله لا إله إلا هو"، و"ما المسيح ابن مريم إلا رسول"، مما يُعيد تشكيل الهوية الدينية في فضاء مقدّس.

أما التحليل التداولي، فيُبرز أن النقش يُوجَّه إلى جمهور متعدّد: المسلمون لتثبيت العقيدة، والمسيحيون لتأكيد التفوّق الرمزي، والزائرون لتكريس الهيبة المعمارية والدينية.

ومن منظور سيميائي، يُسهم الخط الكوفي والزخرفة الهندسية في بناء سلطة بصرية تُعزّز من حضور النص وتُكرّس رمزيته.

هذا النقش لا يُقرأ بوصفه نصاً دينياً فقط، بل بوصفه وثيقة لغوية تُعيد إنتاج السلطة وتُشكّل الوعي الجمعي في سياق سياسي وديني متوتر، مما يُبرز أهمية المنهج اللساني في تحليل النقوش التاريخية الفلسطينية.

أظهر هذا المبحث أن اللغة ليست مجرد وسيلة لنقل الوقائع التاريخية، بل هي بنية معرفية تُنتج المعنى وتُعيد تشكيل السلطة والهوية .وقد بيّن أن المنهج اللساني يُتيح قراءة متعددة المستويات للوثائق، من خلال أدوات التحليل الدلالي والتداولي والسيميائي، مما يُفسح المجال لفهم أعمق لكيفية إنتاج الخطاب التاريخي .كما تم التأكيد على أن النقوش، والمخطوطات، والوثائق الرسمية، والرواية التاريخية، جميعها تُمارس فعلاً لغوياً يُعيد بناء الماضي من خلال التمثيل النصي، ويُسهم في تكوين الذاكرة الجماعية.

المبحث الثاني
تحليل نماذج مختارة من الوثائق التاريخية

المطلب الأول :النقوش القديمة:

تُعد النقوش من أقدم أشكال التعبير اللغوي التي استخدمها الإنسان لتثبيت حضوره الرمزي في الفضاء العام .وقد ارتبطت وظيفتها منذ البداية بتثبيت السلطة السياسية والشرعية الدينية، حيث كانت تُنقش على جدران المعابد، بوابات المدن، والصخور البارزة، لتُخاطب الجماعة وتُكرّس سردية الحاكم أو المؤسسة .(Assmann, 2011)فالنقش ليس مجرد تسجيل للأحداث، بل هو فعل لغوي مؤدلج، يُعيد إنتاج النظام الرمزي الذي يحكم العلاقة بين السلطة والمجتمع.

من منظور لساني، يُظهر التحليل الدلالي للنقوش أن اختيار الألفاظ، وتكرار الألقاب، واستخدام صيغ التمجيد، كلها عناصر تُسهم في بناء خطاب الهيمنة .فالنقوش غالباً ما تُستخدم فيها لغة احتفالية تُضفي على الفعل السياسي طابعاً

مقدساً، وتُربط بين الحاكم والآلهة، مما يُعزز من شرعيته في الوعي الجمعي .(Eco, 1976) كما أن السياق المكاني للنقش يُضفي عليه طابعاً شعائرياً يُعزز من سلطته التداولية، ويُكرّس حضوره في الذاكرة الجمعية.

أما التحليل التداولي، فيُبرز أن النقوش تُوجَّه إلى جمهور مفترض، غالباً ما يكون جماعة المؤمنين أو الرعية، وتُبنى على افتراضات مسبقة حول السلطة، الطاعة، والذاكرة .فالنقش يُفترض فيه أن يُقرأ، يُتذكّر، ويُتناقل، مما يجعله أداة تداولية تُعيد إنتاج السلطة عبر الزمن .(Fairclough, 1995)

من منظور سيميائي، تُعد النقوش نظاماً رمزياً ومركباً، حيث تتداخل العلامات اللغوية مع الرموز البصرية (كالزخارف، الأيقونات، الألوان)، مما يُنتج خطاباً متعدد الوسائط يُرسّخ الذاكرة الجماعية ويُعيد تشكيل الهوية التاريخية (Barthes, 1977).فالنقش لا يُقرأ فقط، بل يُرى ويُستشعر، مما يُضفي عليه طابعاً شعائرياً يُعزز من سلطته التداولية.

وقد أشار إحسان عواد في دراسته حول نشأة الكتابة العربية إلى أن النقوش المبكرة لم تكن مجرد وسيلة للتوثيق، بل كانت تعبيراً عن سلطة رمزية تُمارس عبر اللغة والصورة، وتُسهم في بناء الهوية الجماعية في سياقها السياسي والديني. (عواد، 1986)

المطلب الثاني: المخطوطات العلمية والدينية:

تمثل المخطوطات فضاءً معرفياً وثقافياً بالغ الأهمية، حيث تُعبّر عن رؤية العالم في سياقها التاريخي، وتُسهم في بناء سرديات علمية ودينية وفلسفية .وقد لعبت دوراً محورياً في نقل المعرفة، وتثبيت المرجعيات، وتشكيل الوعي الجمعي، مما يجعلها وثائق لغوية غنية بالتحليل .(Petrucci, 1999)

يُظهر التحليل التداولي للمخطوطات أن العلاقة بين الكاتب والقارئ تُبنى على افتراضات مسبقة حول السلطة المعرفية، والشرعية الدينية، والمكانة الاجتماعية .فالمؤلف لا يكتب من فراغ، بل يُخاطب جمهوراً ضمنياً يتقاسم معه المرجعيات والمفاهيم، ويُمارس فعلاً تأويلياً يُوجّه القراءة ويُحدّد مسارات الفهم .(Halliday & Hasan, 1989)

كما أن البنية النصية للمخطوطات (المقدمة، المتن، الحواشي، الخاتمة) تُظهر تنظيماً لغوياً دقيقاً يُسهم في بناء المعنى وتوجيه التأويل . وتُعد الهوامش والتعليقات أدوات تداولية تُعيد إنتاج النص وتُفسّره عبر الزمن، مما يجعل من المخطوطة نصًا حيّاً يتفاعل مع السياقات المتغيرة .(Chartier, 1997)

من منظور دلالي، تُظهر المخطوطات تنوّعاً في الحقول المعجمية، والانزياحات اللغوية، والتراكيب البلاغية، مما يُتيح للباحث فهمًا أعمق للمنظومة الفكرية التي تُنتج النص .كما أن استخدام الاستعارات، والتشبيهات، والصيغ الدعائية، يُسهم في بناء خطاب معرفي يُعبّر عن رؤية العالم في سياقها التاريخي .(Van Dijk, 2008)

وقد أشار عبد القاهر الجرجاني في "دلائل الإعجاز "إلى أن بلاغة النص لا تنفصل عن سياقه التداولي، وأن فهم المعنى يتطلب إدراك العلاقات بين الألفاظ والمعاني، وهو ما يُعد أساساً لتحليل المخطوطات من منظور لساني. (المرزوقي، 2001)

المطلب الثالث: الوثائق الرسمية الحديثة:

تُعد الوثائق الرسمية الحديثة من أكثر أنواع الوثائق تعقيداً من الناحية التداولية، إذ تجمع بين اللغة القانونية، والإدارية، والسياسية، وتُستخدم لتثبيت القرارات، تنظيم العلاقات، وتحديد الحقوق والواجبات .وهي غالباً ما تُصاغ بلغة دقيقة، محايدة ظاهرياً، لكنها تُخفي في بنيتها اختيارات أيديولوجية تُعيد إنتاج السلطة .(Fairclough, 1995)

يُظهر التحليل اللساني أن الوثائق الرسمية تُستخدم فيها لغة بيروقراطية مُنظّمة، تُخاطب جمهوراً محدداً (المواطن، الموظف، المؤسسة)، وتُبنى على افتراضات تداولية تُحدّد من يملك سلطة القول، ومن يُخاطَب، وما هي حدود الفهم والتأويل . كما أن استخدام المصطلحات القانونية، والصيغ الإجرائية، يُضفي على الوثيقة طابعاً إلزامياً يُكرّس السلطة. (Van Dijk, 2008)

من منظور سيميائي، تُعد الوثائق الرسمية أدوات لإنتاج الواقع، لا مجرد تسجيل له .فهي تُحدّد من هو المواطن، وما هي الحقوق، وكيف تُمارس السلطة، مما يجعل منها نصوصاً تأسيسية تُعيد تشكيل العلاقة بين الفرد والدولة .وتحليلها لغوياً يُعيد مساءلة علاقتها بالهوية، الشرعية، والذاكرة، ويُكشف عن التوترات الكامنة بين الخطاب الرسمي والتجربة الشعبية. (Bourdieu, 1991)

كما أن الوثائق الرسمية تُستخدم في سياقات متعددة (التشريع، الإدارة، الإعلام)، مما يجعل من تحليلها اللساني ضرورة لفهم كيف تُبنى السلطة، وتُمارس، وتُقاوم .فكل وثيقة تحمل في بنيتها آثار السلطة، وملامح الأيديولوجيا، واستراتيجيات التمثيل، مما يجعل منها نصاً غنياً بالتحليل والتأويل.

وقد أشار نصر حامد أبو زيد إلى أن "الخطاب الرسمي يُمارس سلطته من خلال اللغة، عبر بناء سردية تُقصي الآخر، وتُكرّس المركزية"، وهو ما يجعل من تحليل الوثائق الرسمية ضرورة لفهم كيف تُستخدم اللغة في إنتاج السلطة وتوجيه الذاكرة. (أبو زيد، 1994)

مثال تطبيقي: مخطوطة وقف الخليل العثمانية

تُعد مخطوطة وقف الخليل من الوثائق العثمانية المهمة التي توثق إدارة الأوقاف في مدينة الخليل خلال القرن السابع عشر. وهي مكتوبة بالخط الديواني، وتُظهر تنظيماً إدارياً دقيقاً للأراضي والممتلكات الوقفية، وتُبيّن العلاقة بين الدولة والمجتمع المحلي. من منظور لساني، تُظهر المخطوطة كيف تُستخدم اللغة القانونية لتثبيت الحقوق، وتحديد المسؤوليات، وتكريس السلطة المركزية (السرطاوي، 2019).

التحليل الدلالي يُبرز كثافة المصطلحات الوقفية مثل "حبس"، "ناظر"، "مستحق"، مما يُعيد تشكيل المجال القانوني والاقتصادي في النص. أما التحليل التداولي، فيُظهر أن الوثيقة تُوجّه إلى جمهور إداري وقضائي، وتُبنى على افتراضات مسبقة حول الشرعية والامتثال. من منظور سيميائي، يُسهم تنسيق المخطوطة، وتوزيع الفقرات، وختم الدولة في بناء سلطة رمزية تُكرّس الهيمنة الإدارية.

هذه الوثيقة لا تُقرأ فقط بوصفها سجلًا إدارياً، بل بوصفها خطاباً لغوياً يُعيد إنتاج العلاقة بين الدولة والمجتمع، ويُظهر كيف تُمارس السلطة عبر اللغة في السياق الفلسطيني العثماني.

قدّم هذا المبحث تحليلاً تطبيقياً لأربعة أنواع من الوثائق التاريخية، كاشفاً عن تنوّع استراتيجيات التمثيل اللغوي فيها. فقد أظهرت النقوش كيف تُستخدم اللغة والصورة لتثبيت الشرعية، بينما كشفت المخطوطات عن دور اللغة في بناء المرجعيات المعرفية والدينية. أما الوثائق الرسمية، فقد بيّنت التوتر بين الخطاب السلطوي والذاكرة الشعبية، في حين أظهرت الرواية التاريخية المعاصرة كيف تُعيد اللغة كتابة الماضي من منظور مقاوم. وقد أثبت التحليل أن كل وثيقة تُنتج ضمن سياق تداولي وسيميائي يُعيد تشكيل السلطة والهوية والذاكرة.

المبحث الثالث

الرواية التاريخية المعاصرة وإعادة كتابة الذاكرة

المطلب الأول :الرواية بوصفها خطاباً مقاوماً:

تُعد الرواية التاريخية المعاصرة من أبرز الأشكال السردية التي تُعيد مساءلة التاريخ الرسمي، وتُقدّم سرديات بديلة تُعبّر عن الذاكرة الجماعية، والهويات المهمّشة، والتجارب المنسيّة. فهي لا تكتفي بإعادة سرد الوقائع، بل تُمارس فعلاً تأويلياً يُعيد بناء الماضي من منظور جمالي، ذاتي، أو جماعي، يُقاوم السرديات السلطوية ويُفكك بنيتها .(White, 1987)

هذا التحول في وظيفة الرواية التاريخية يجعل منها أداة معرفية وجمالية تُسهم في إعادة تشكيل العلاقة بين الفرد والمجتمع، وبين الماضي والحاضر.

الرواية التاريخية لا تُعيد فقط سرد الوقائع، بل تُعيد بناء العالم من خلال اللغة، وتُمارس فعلاً تأويلياً يُزعزع السرديات المهيمنة. وهي بذلك تُسهم في إعادة تشكيل العلاقة بين الفرد والمجتمع، وبين الماضي والحاضر، وتُعيد بناء الذاكرة من منظور مقاوم يُفسح المجال لتعدّد الرؤى والتأويلات. وقد أشار بول ريكور إلى أن "السرد هو شكل من أشكال الفهم، يُعيد تنظيم الزمن، ويُعيد بناء المعنى من خلال اللغة.(Ricoeur, 1984) "

من منظور لساني، تُوظّف الرواية التاريخية أدوات لغوية متعددة تُسهم في بناء خطاب مقاوم، مثل الانزياح الدلالي، والتناص، والتعدد الصوتي، مما يُتيح للكاتب أن يُعيد تشكيل التاريخ من خلال اللغة ذاتها. فالرواية لا تُعيد إنتاج الوقائع، بل تُعيد إنتاج المعنى، وتُمارس فعلاً نقدياً يُزعزع اليقين التاريخي ويُفسح المجال للتأويل .(Bakhtin, 1981)

كما أن الرواية تُعيد بناء الذاكرة من خلال استحضار الشخصيات المهمّشة، والأحداث المنسيّة، والفضاءات المغيّبة، مما يجعل منها أداة سردية تُقاوم النسيان، وتُعيد الاعتبار للتجربة الإنسانية في سياقها التاريخي.

وقد أشار نصر حامد أبو زيد إلى أن "النص ليس بنية مغلقة، بل هو فعل تواصلي يتشكّل في سياق ثقافي واجتماعي محدد، ويُعاد إنتاجه عبر التأويل" (أبو زيد، 1994، ص. 31). وهذا ما يجعل الرواية التاريخية نصاً مفتوحاً على إمكانيات متعددة للفهم، تُسهم في تفكيك الخطاب الرسمي، وإعادة بناء الذاكرة من منظور مقاوم.

من منظور تداولي، تُخاطب الرواية جمهوراً متعدّداً، وتُبنى على افتراضات مسبقة حول السلطة، الهوية، والذاكرة. وهي تُمارس فعلاً لغوياً يعيد توزيع الأدوار بين المتكلّم والمخاطَب، ويُفسح المجال لتعدّد الأصوات والرؤى، مما يجعل منها نصاً حوارياً يُعيد تشكيل العلاقة بين اللغة والتاريخ .(Fairclough, 1995) فالرواية لا تُقدّم سرداً خطياً، بل تُعيد بناء الزمن من خلال تعدّد وجهات النظر، وتداخل الأزمنة، وتفكيك العلاقة بين الحدث والسرد.

كما أن الرواية التاريخية تُمارس وظيفة نقدية تُعيد مساءلة السرديات الرسمية، وتُفكك بنيتها اللغوية، وتُعيد بناء التاريخ من منظور ذاتي أو جماعي. وهي بذلك تُسهم في بناء وعي نقدي يُقاوم التسلّط الرمزي، ويُعيد الاعتبار للتجربة الإنسانية في سياقها التاريخي. وقد أشار بنديكت أندرسون إلى أن الأمة تُبنى من خلال "مجتمعات متخيّلة" تُنتجها اللغة والسرد، مما يُبرز دور الرواية في بناء الهوية الوطنية.(Anderson, 2006)

الرواية التاريخية المعاصرة تُعيد الاعتبار للذاكرة الجماعية، وتُسهم في تفكيك الخطاب الرسمي من خلال استحضار الأصوات المهمّشة، وتقديم سرديات بديلة تُقاوم النسيان. وهي بذلك تُمارس وظيفة مزدوجة: جمالية ومعرفية، تُعيد تشكيل العلاقة بين اللغة والتاريخ، وتُسهم في بناء وعي نقدي يُعيد مساءلة الماضي من أجل فهم الحاضر.

المطلب الثاني :أدوات التحليل اللساني في قراءة الرواية:

يُتيح التحليل اللساني للرواية التاريخية فهماً أعمق لكيفية بناء المعنى، وتوجيه التأويل، وتشكيل الرمزية. فالرواية ليست مجرد سرد، بل هي بنية لغوية معقّدة تُستخدم فيها أدوات دلالية، تداولية، وسيميائية تُسهم في إنتاج خطاب متعدد المستويات .(Halliday & Hasan, 1989) ومن خلال هذه الأدوات، يمكن تفكيك البنية اللغوية للرواية، وفهم كيف تُستخدم اللغة لتشكيل الهوية، وبناء الذاكرة، وتوجيه الفهم.

التحليل الدلالي يُمكّن الباحث من تتبّع الحقول المعجمية، والعلاقات الدلالية، والانزياحات اللغوية التي تُعيد تشكيل الوقائع التاريخية في النص الروائي. كما أن استخدام الاستعارات، والتشبيهات، والصيغ البلاغية، يُضفي على الرواية طابعاً جمالياً يُعزّز من قدرتها التأويلية .(Van Dijk, 2008) فالرواية تُعيد بناء المعنى من خلال اللغة، وتُعيد تشكيل العلاقة بين الحدث والسرد، وبين الزمن والذاكرة.

أما التحليل التداولي، فيُركّز على أفعال الكلام، والافتراضات المسبقة، واستراتيجيات الإقناع، مما يُتيح فهماً أعمق للعلاقة بين الراوي والقارئ، وبين النص وسياقه. فالرواية تُمارس فعلاً تداولياً يُعيد توزيع السلطة بين الكاتب والمتلقّي، ويُفسح المجال للتفاعل والتأويل .(Fairclough, 1995) وهي بذلك تُعيد بناء العلاقة بين اللغة والسلطة، وتُعيد تشكيل الهوية من خلال التفاعل اللغوي.

من منظور سيميائي، تُعد الرواية نظاماً رمزياً غنياً، حيث تتداخل العلامات اللغوية مع الرموز الثقافية، والتناصات التاريخية، والإشارات البصرية، مما يُنتج خطاباً مركّباً يُعيد بناء الذاكرة من خلال اللغة .(Barthes, 1977) وهي بذلك تُسهم في تفكيك الخطاب الرسمي، وتُعيد تشكيل العلاقة بين الفرد والتاريخ، وتُعيد بناء المعنى من خلال الرمزية والتأويل.

وقد أشار عبد الرحمن قنيبي إلى أن "الخطاب التاريخي لا يُفهم إلا من خلال تحليل بنيته اللغوية، التي تُظهر كيف تُمارس السلطة عبر اللغة، وكيف تُبنى الذاكرة من خلال التمثيل النصي" (قنيبي، 2015، ص. 88). وهذا ما يجعل التحليل اللساني أداة ضرورية لفهم الرواية التاريخية بوصفها خطابًا لغويًا يُعيد بناء المعنى، ويُعيد تشكيل العلاقة بين اللغة والتاريخ.

كما أن التحليل اللساني يُسهم في الكشف عن التوترات الكامنة في النص، بين الظاهر والمضمر، وبين القول والسكوت، وبين السلطة والمقاومة. فالرواية تُعيد بناء التاريخ من خلال اللغة، وتُمارس فعلاً تأويلياً يُعيد تشكيل الذاكرة، ويُفسح المجال لتعدّد الأصوات والرؤى.

إن قراءة الرواية التاريخية من منظور لساني لا تُسهم فقط في فهم بنيتها الجمالية، بل تُعيد ربطها بالهوية، السلطة، والذاكرة، مما يجعل منها أداة نقدية تُسهم في بناء وعي تاريخي مقاوم، يُعيد مساءلة الماضي من أجل فهم الحاضر، ويُفسح المجال لتعدّد السرديات والرؤى.

مثال تطبيقي: رواية "زمن الخيول البيضاء" لإبراهيم نصر الله

تُعد رواية "زمن الخيول البيضاء" من أبرز الروايات الفلسطينية التي تُعيد كتابة التاريخ من منظور سردي مقاوم، حيث تُقدّم سردية بديلة لتاريخ الريف الفلسطيني قبل النكبة، وتُركّز على حياة الفلاحين، والصراع مع الاستعمار، والتحولات الاجتماعية. من منظور لساني، تُوظّف الرواية أدوات بلاغية وسردية تُعيد بناء الذاكرة الجماعية، وتُفكك الخطاب الرسمي الذي همّش هذه التجربة (نصر الله، 2007).

التحليل الدلالي يُظهر كثافة الحقول المعجمية المرتبطة بالأرض، والكرامة، والمقاومة، مما يُعيد تشكيل العلاقة بين الفلسطيني وأرضه. أما التحليل التداولي، فيُبرز تعدّد الأصوات داخل الرواية، وتداخل الأزمنة، مما يُعيد توزيع السلطة السردية بين الراوي والشخصيات. من منظور سيميائي، تُستخدم الرموز مثل "الفرس البيضاء" و"البيادر" لتكثيف المعنى، وبناء رمزية مقاومة تُعيد الاعتبار للهوية الريفية.

الرواية لا تُقدّم سرداً جمالياً فقط، بل تُمارس وظيفة نقدية تُعيد بناء التاريخ من منظور شعبي، وتُسهم في تفكيك السرديات المهيمنة، مما يُبرز أهمية التحليل اللساني في قراءة الرواية التاريخية الفلسطينية.

سلّط هذا المبحث الضوء على الرواية التاريخية بوصفها خطاباً مقاوماً يُعيد مساءلة السرديات الرسمية، ويُعيد بناء الذاكرة الجماعية من خلال اللغة. وقد أظهر أن الرواية تُوظّف أدوات لغوية متعددة، مثل التناص والانزياح والتعدد الصوتي، لتفكيك الخطاب السلطوي، واستحضار الأصوات المهمّشة، وتقديم سرديات بديلة. كما بيّن أن التحليل اللساني يُمكّن من فهم البنية الجمالية والتأويلية للرواية، ويُعيد ربطها بالهوية والسلطة والذاكرة، مما يجعل منها أداة سردية تُسهم في بناء وعي نقدي يُعيد تشكيل العلاقة بين الفرد والماضي.

المبحث الرابع
المنهج اللساني-التاريخي :نحو قراءة نقدية للوثائق

المطلب الأول :أدوات المنهج اللساني:

يُعد المنهج اللساني-التاريخي من أبرز المناهج النقدية التي تُسهم في إعادة تأويل الوثائق التاريخية، من خلال تحليل بنيتها اللغوية وسياقاتها التداولية والسيميائية .هذا المنهج لا يكتفي بتحديد المعاني الظاهرة، بل يسعى إلى تفكيك الطبقات العميقة للخطاب، وكشف آليات التمثيل، والانزياحات الدلالية التي تُعيد تشكيل العلاقة بين اللغة والتاريخ (Fairclough, 1995).

في قلب هذا المنهج تقف اللغة بوصفها أداة معرفية وسلطوية، تُنتج المعنى وتُعيد تشكيل الوعي الجمعي .فالوثيقة التاريخية ليست مجرد سجل للوقائع، بل خطاب لغوي يُنتج ضمن سياق اجتماعي وسياسي محدد، ويُمارس فعلاً تأويلياً يُعيد تشكيل السلطة والهوية والذاكرة .(Bourdieu, 1991)ومن هنا، فإن التحليل اللساني يُتيح للباحث أدوات متعددة لفهم كيف تُستخدم اللغة في بناء السرديات التاريخية، وتوجيه التأويل، وتشكيل الرمزية.

يُركّز التحليل الدلالي على دراسة الحقول المعجمية، والعلاقات بين المفردات، والانزياحات اللغوية التي تُنتج المعنى وتُعيد تشكيله .فكل وثيقة تحمل في لغتها آثاراً دلالية تُعبّر عن السياق الذي أُنتجت فيه، وعن السلطة التي تُوجّه الخطاب . ومن خلال هذا التحليل، يمكن رصد كيف تُستخدم اللغة لتثبيت الشرعية، أو لتهميش روايات بديلة. (Halliday & Hasan, 1989)

أما التحليل التداولي، فيُعنى بدراسة أفعال الكلام، والافتراضات المسبقة، واستراتيجيات الإقناع، مما يُتيح فهماً أعمق للعلاقة بين المتكلّم والمخاطَب، وبين النص وسياقه .فالوثيقة لا تُنتج في فراغ، بل تُوجَّه إلى جمهور محدّد، وتُبنى على توقعات تداولية تُحدّد كيف تُفهم، وتُفسّر، وتُؤوّل .(Van Dijk, 2008)كما أن التحليل التداولي يُسهم في الكشف عن التوترات الكامنة في النص، بين الظاهر والمضمر، وبين القول والسكوت، وبين السلطة والمقاومة.

يُسهم التحليل السيميائي في تفكيك الرموز والعلامات غير اللفظية التي تُرافق النص، مثل الصور، الأيقونات، الألوان، والتصميم البصري .فهذه العناصر تُنتج معنى موازٍ للغة، وتُعزّز من سلطة الوثيقة، أو تُعيد تشكيل علاقتها بالذاكرة والهوية .(Barthes, 1977) ومن خلال هذا التحليل، يمكن فهم كيف تُبنى السلطة الرمزية، وكيف تُمارس عبر الوسائط المتعددة.

وقد أشار عبد الرحمن قنيبي إلى أن "الخطاب التاريخي لا يُفهم إلا من خلال تحليل بنيته اللغوية، التي تُظهر كيف تُمارس السلطة عبر اللغة، وكيف تُبنى الذاكرة من خلال التمثيل النصي " (قنيبي، 2015، ص 88) وهذا ما يجعل المنهج اللساني أداة ضرورية لفهم الوثائق بوصفها منتجات ثقافية وسلطوية.

من جهة أخرى، يُسهم المنهج اللساني في كشف البنية الإيديولوجية للوثائق، من خلال تحليل كيف تُستخدم اللغة لتشكيل الهوية، وتحديد من هو "الآخر"، وكيف تُبنى الحدود الرمزية بين الجماعة والمغاير، بين المركز والهامش، وبين السلطة والمقاومة .(Foucault, 1972)فكل وثيقة تحمل في بنيتها آثاراً أيديولوجية تُعيد تشكيل الهوية، وتُكرّس التراتب الاجتماعي والسياسي.

كما أن المنهج اللساني يُتيح للباحث أدوات لفهم كيف تُستخدم اللغة في بناء الذاكرة الجماعية، من خلال اختيار ما يُذكر، وما يُنسى، وما يُؤوّل .فالوثيقة تُمارس فعلاً تأريخياً يُعيد تشكيل الماضي وفقاً لمصالح الحاضر، مما يجعل من تحليلها ضرورة لفهم كيف تُبنى السرديات، وكيف تُقاوم، وكيف تُعاد كتابتها .(Assmann, 2011)

المطلب الثاني :إعادة ربط الوثائق بالهوية والسلطة:

تُظهر الدراسات اللسانية أن الوثائق التاريخية ليست محايدة، بل تُنتج ضمن سياقات سلطوية تُحدّد من يكتب، ولمن يُكتب، وكيف يُكتب. فاللغة تُستخدم لتثبيت الشرعية، وإعادة إنتاج الهوية، وتوجيه الذاكرة، مما يجعل من الوثيقة أداة رمزية تُمارس السلطة بوسائل لغوية.(Fairclough, 1995)

من خلال التحليل اللساني، يمكن رصد كيف تُستخدم اللغة لتحديد من هو "الآخر"، وكيف تُبنى الحدود الرمزية بين الجماعة والمغاير، بين المركز والهامش، وبين السلطة والمقاومة. فكل وثيقة تحمل في بنيتها آثاراً أيديولوجية تُعيد تشكيل الهوية، وتُكرّس التراتب الاجتماعي والسياسي.(Bourdieu, 1991)

كما أن الوثائق تُستخدم لإعادة إنتاج الذاكرة الجماعية، من خلال اختيار ما يُذكر، وما يُنسى، وما يُؤوّل. وهي بذلك تُمارس فعلاً تأريخياً يُعيد تشكيل الماضي وفقاً لمصالح الحاضر، مما يجعل من تحليلها ضرورة لفهم كيف تُبنى السرديات، وكيف تُقاوم، وكيف تُعاد كتابتها.(Assmann, 2011)

وقد أشار نصر حامد أبو زيد إلى أن "الخطاب الرسمي يُمارس سلطته من خلال اللغة، عبر بناء سردية تُقصي الآخر، وتُكرّس المركزية"، وهو ما يجعل من تحليل الوثائق الرسمية ضرورة لفهم كيف تُستخدم اللغة في إنتاج السلطة وتوجيه الذاكرة (أبو زيد، 1994، ص. 45).

المنهج اللساني يُعيد ربط الوثائق بالسلطة، والهوية، والذاكرة، ويُفسح المجال لفهم كيف تُستخدم اللغة لتشكيل العالم، وتوجيه الفهم، وبناء الرمزية. وهو بذلك يُسهم في تطوير وعي نقدي يُعيد مساءلة التاريخ، ويُفسح المجال لتعدّد السرديات، وتكثيف التأويل.

وقد أظهرت دراسات تحليل الخطاب التاريخي أن اللغة تُستخدم لتشكيل التصورات الجماعية، وتوجيه الفهم، وبناء الرمزية، مما يجعل من الوثيقة نصاً تأسيسياً يُعيد تشكيل العلاقة بين الفرد والمجتمع، وبين الماضي والحاضر .(Historical Discourse Analysis, 2025)

كما أن المنهج اللساني يُسهم في كشف كيف تُستخدم اللغة في بناء السلطة الرمزية، من خلال تحليل كيف تُمارس اللغة فعلاً سلطوياً يُعيد تشكيل الهوية، ويُكرّس التراتب، ويُعيد إنتاج المركزية. وهو بذلك يُعيد مساءلة الوثيقة بوصفها خطاباً لغوياً مشحوناً بالسلطة، لا مجرد سجل للوقائع.

مثال تطبيقي: وثائق لجنة القرى المهجرة بعد النكبة

تُعد وثائق لجنة القرى المهجرة التي تأسست بعد نكبة 1948 من أبرز الوثائق التي تُعيد بناء الذاكرة الفلسطينية من خلال التوثيق اللغوي. وهي تشمل بيانات، رسائل، ومطالبات رسمية تُوثّق أسماء القرى، وعدد السكان، والممتلكات، وتُطالب بحق العودة. من منظور لساني، تُظهر هذه الوثائق كيف تُستخدم اللغة لتثبيت الهوية، وتوثيق الذاكرة، ومقاومة النسيان (أبو سليم، 2015).

التحليل الدلالي يُبرز استخدام ألفاظ مثل "العودة"، "التهجير"، "الحق"، مما يُعيد تشكيل الخطاب الحقوقي. أما التحليل التداولي، فيُظهر أن الوثائق تُوجّه إلى مؤسسات دولية ومحلية، وتُبنى على افتراضات قانونية وإنسانية. من منظور سيميائي، تُستخدم الخرائط، والجداول، والأختام لتكثيف المعنى، وبناء سلطة توثيقية تُقاوم الإنكار.

هذه الوثائق تُمارس وظيفة تأريخية مقاومة، تُعيد بناء الماضي من خلال اللغة، وتُسهم في تكريس الذاكرة الجماعية، مما يُبرز فعالية المنهج اللساني في تحليل الوثائق الفلسطينية بعد النكبة.

أكّد هذا المبحث على أهمية المنهج اللساني-التاريخي في تحليل الوثائق بوصفها نصوصاً لغوية تُنتج ضمن سياقات سلطوية. وقد تم عرض أدوات هذا المنهج، وكيف يُسهم في تفكيك البنية اللغوية للوثائق، وكشف التمثيلات الأيديولوجية، وربط النص بالسلطة والهوية والذاكرة. كما بيّن أن هذا المنهج يُعيد مساءلة الوثيقة، ويُفسح المجال لفهم كيف تُستخدم اللغة في بناء السرديات، وتوجيه التأويل، وتكثيف الرمزية، مما يُسهم في تطوير وعي نقدي يُعيد قراءة التاريخ من منظور لغوي تأويلي.

المبحث الخامس
الذاكرة الجماعية الفلسطينية من منظور لساني

المطلب الأول: الذاكرة الجماعية بوصفها ممارسة لغوية مقاومة

تُعد الذاكرة الجماعية من المفاهيم المركزية في الدراسات الثقافية والتاريخية، وهي لا تُختزل في استدعاء الماضي، بل تُمارس بوصفها فعلا لغوياً يُعيد تشكيل الحاضر ويُوجّه المستقبل. في السياق الفلسطيني، تكتسب الذاكرة الجماعية طابعاً مقاوما، إذ تُستخدم اللغة لتثبيت الهوية، وتوثيق النكبة، واستعادة القرى المهجّرة، وتكريس الحق في العودة. ومن هنا، يُصبح التحليل اللساني أداة فعّالة لفهم كيف تُنتج الذاكرة عبر الخطاب، وكيف تُقاوم النسيان من خلال التمثيل النصي (السرطاوي، 2020).

في الرواية الشفوية الفلسطينية، تُستخدم اللغة بوصفها وسيلة لاستعادة الماضي، وتوثيق التجربة، ومقاومة الإنكار. فالشهادات الشفوية التي يُدلي بها اللاجئون أو المناضلون تُعيد بناء الأحداث من خلال سرديات شخصية تُدمج فيها اللغة العاطفية، والتكرار، والاستعارة، مما يُنتج خطابا ذاكراتياً يُعيد تشكيل العلاقة بين الفرد والمجتمع. وقد أظهرت دراسات ميدانية أن استخدام ألفاظ مثل "الطرد"، "البيارة"، "الدار"، "المفتاح"، يُعيد بناء الذاكرة من خلال رموز لغوية تُكثّف المعنى وتُكرّس الحق (الحموري، 2021).

من منظور تداولي، تُبنى الذاكرة الجماعية على افتراضات مسبقة حول الجمهور، والشرعية، والسلطة. فالشهادة الشفوية تُوجّه إلى مستمع متخيّل، غالبًا ما يكون الجيل الجديد أو الباحث أو المؤسسة الحقوقية، وتُبنى على رغبة في التوثيق، والاعتراف، والاستمرار. كما أن اللغة تُستخدم لتوزيع الأدوار بين المتكلّم والمخاطَب، مما يُعيد تشكيل العلاقة بين الذات والآخر، وبين الماضي والحاضر. وقد أشار باحثون فلسطينيون إلى أن "الذاكرة ليست فقط ما يُقال، بل كيف يُقال، ولمن يُقال، ولماذا يُقال" (البرغوثي، 2019).

من منظور سيميائي، تُستخدم الرموز اللغوية والبصرية في تكثيف الذاكرة، مثل صورة المفتاح، أو خارطة فلسطين، أو أسماء القرى المهجّرة. وهذه الرموز تُنتج معنى يتجاوز اللغة، وتُسهم في بناء هوية جماعية تُقاوم التهجير والطمس. كما أن استخدام الألوان، والخطوط، والتصميم في الوثائق والشعارات يُعيد تشكيل الذاكرة بصرياً، ويُكرّس الحضور الرمزي للمكان والحدث. وقد أظهرت دراسات تحليل الشعارات الفلسطينية أن "الرمز يُكثّف الذاكرة، ويُعيد بناء التاريخ من خلال الصورة" (الطراونة، 2022).

الذاكرة الجماعية الفلسطينية لا تُمارس فقط في النصوص المكتوبة، بل في اللغة اليومية، والأمثال، والأغاني، والقصص المتداولة، مما يجعل من اللغة أداة حيوية تُعيد إنتاج الماضي وتُكرّس الحضور الرمزي في الحاضر. ومن خلال

التحليل اللساني، يمكن تفكيك هذه الممارسات اللغوية، وفهم كيف تُستخدم اللغة في بناء خطاب ذاكراتي يُعيد تشكيل الهوية، ويُكرّس الحق، ويُقاوم النسيان.

المطلب الثاني: الأرشفة الرقمية والذاكرة الفلسطينية في الخطاب المعاصر

في العقود الأخيرة، برزت الأرشفة الرقمية بوصفها وسيلة جديدة لحفظ الذاكرة الجماعية الفلسطينية، خاصة في ظل التهديدات المستمرة بمحو الهوية والطمس الثقافي. وقد أظهرت دراسات حديثة أن الأرشفة ليست مجرد تقنية، بل ممارسة لغوية وسيميائية تُعيد بناء الماضي وتُكرّس الحضور الرمزي في الفضاء الرقمي (شموط، 2020).

تُستخدم اللغة في الأرشفة الرقمية لتوصيف المواد، وتحديد السياقات، وتوثيق الأحداث، مما يجعل من كل ملف أرشيفي وثيقة لغوية تُعيد إنتاج الذاكرة. فمثلاً، عند أرشفة تسجيل صوتي من لاجئ فلسطيني، تُكتب بيانات وصفية تشمل اسم القرية، سنة التهجير، نوع الشهادة، مما يُعيد بناء السياق التداولي للنص، ويُكرّس شرعية الرواية الشعبية في مواجهة الإنكار الرسمي.

من منظور تداولي، تُوجّه الأرشفة الرقمية إلى جمهور عالمي، لا يقتصر على الفلسطينيين، بل يشمل الباحثين، والمؤرخين، والمؤسسات الحقوقية، مما يُعيد تشكيل الخطاب الذاكراتي بوصفه فعلا تواصليا عابرا للحدود. كما أن اللغة المستخدمة في توصيف المواد تُبنى على افتراضات حول الشرعية، والاعتراف، والتمثيل، مما يجعل من كل ملف أرشيفي أداة رمزية تُعيد بناء العلاقة بين الذات والآخر، وبين التاريخ والذاكرة.

أما من منظور سيميائي، فإن تصميم واجهات الأرشيف، واستخدام الصور، والألوان، والخرائط، يُسهم في بناء رمزية بصرية تُكثّف الذاكرة، وتُكرّس الحضور الفلسطيني في الفضاء الرقمي. وقد أظهرت دراسة بشار شموط أن "الأرشفة الرقمية تُعيد بناء الذاكرة من خلال اللغة والصورة، وتُقاوم الطمس من خلال التمثيل المتعدد الوسائط" (شموط، 2020).

كما أن الأرشفة تُسهم في إعادة توزيع السلطة السردية، حيث تُمنح الرواية الشعبية مساحة للظهور، وتُعاد كتابة التاريخ من منظور القاعدة لا القمة. ومن خلال التحليل اللساني، يمكن فهم كيف تُستخدم اللغة في توصيف المواد، وتوجيه التأويل، وبناء الرمزية، مما يجعل من الأرشفة ممارسة لغوية تُعيد تشكيل الذاكرة وتُكرّس الحق.

في السياق الفلسطيني، تُعد الأرشفة الرقمية أداة مقاومة تُعيد بناء الماضي، وتُكرّس الحضور، وتُقاوم النسيان، مما يُبرز أهمية المنهج اللساني في تحليل هذه الممارسة، وفهم كيف تُستخدم اللغة في بناء خطاب ذاكراتي يُعيد تشكيل الهوية.

مثال تطبيقي: شهادة شفوية من لاجئة فلسطينية حول تهجير قرية صفورية

في إطار مشروع "الذاكرة الشفوية الفلسطينية"، أُجريت مقابلة مع الحاجة فاطمة خليل، وهي لاجئة من قرية صفورية المهجّرة قضاء الناصرة، وقد أدلت بشهادتها في عام 2010 ضمن أرشيف مؤسسة "الحق في الذاكرة". في هذه الشهادة، تروي فاطمة تفاصيل التهجير، الحياة في القرية، لحظة الطرد، والحنين المستمر إلى الأرض. من منظور لساني، تُعد هذه الشهادة وثيقة لغوية غنية تُعيد بناء الذاكرة الجماعية من خلال اللغة، وتُمارس فعلا مقاوما يُواجه النسيان والطمس.

التحليل الدلالي

تُظهر الشهادة كثافة في الحقول المعجمية المرتبطة بالمكان والهوية، مثل "البيارة"، "الدار"، "الزيتون"، "الطابون"، وهي ألفاظ تُعيد تشكيل العلاقة بين الإنسان والأرض، وتُكرّس الحضور الرمزي للمكان في الذاكرة. كما تُستخدم ألفاظ مثل "الطرد"، "الخوف"، "الركض"، "الصرخة"، لتوصيف لحظة التهجير، مما يُضفي على النص طابعا عاطفيا يُكثّف

المعنى ويُعيد بناء الحدث من منظور شعوري. وقد أظهرت دراسة الحموري (2021) أن "الحقول المعجمية في الشهادات الفلسطينية تُعيد بناء الذاكرة من خلال استدعاء المكان بوصفه مركزا للهوية."

التحليل التداولي

من منظور تداولي، تُوجّه فاطمة خطابها إلى جمهور متخيّل، يتمثل في الجيل الجديد، الباحثين، والمؤسسات الحقوقية. فهي تقول: "أنا بحكي مشان تعرفوا، مشان ما تنسوا"، مما يُظهر أن الشهادة تُبنى على افتراضات حول أهمية التوثيق، وضرورة الاعتراف، واستمرار الرواية. كما تُستخدم أفعال الكلام مثل "بحلف"، "بقول"، "بشهد"، لتكريس صدقية الرواية، وتأكيد الحضور الذاتي في الحدث. وقد أشار البرغوثي (2019) إلى أن "الشهادة الشفوية تُمارس فعلا تداولياً يُعيد توزيع السلطة السردية، ويُكرّس الذات بوصفها مصدرا للمعرفة التاريخية."

التحليل السيميائي

من منظور سيميائي، تُستخدم رموز لغوية كثيفة تُكثّف المعنى، مثل "المفتاح"، الذي تذكره فاطمة قائلة: "المفتاح بعده معي، ما فتحتش فيه الدار، بس ما رميتوش"، مما يُضفي على المفتاح رمزية تتجاوز وظيفته المادية، ليُصبح رمزاً للحق، والعودة، والهوية. كما تُستخدم استعارات مثل "الدار جوّا القلب"، و"البيارة ما بتنام"، لتكثيف الحضور الرمزي للمكان في الذاكرة. وقد أظهرت دراسة الطراونة (2022) أن "الرموز في الخطاب الشفوي تُعيد بناء التاريخ من خلال الصورة اللغوية، وتُكرّس الذاكرة بوصفها فعلا شعريا مقاوما."

السياق التداولي والوظيفة الخطابية

الشهادة لا تُقدّم فقط سردًا للحدث، بل تُمارس وظيفة خطابية تُعيد بناء الماضي من منظور شعبي، وتُقاوم السرديات الرسمية التي همّشت تجربة التهجير. ففاطمة تُعيد بناء الحدث من خلال اللغة، وتُكرّس الرواية الفلسطينية بوصفها رواية حية، تُقاوم الإنكار، وتُعيد تشكيل الهوية. ومن خلال التحليل اللساني، يمكن فهم كيف تُستخدم اللغة في بناء خطاب ذاكراتي يُعيد تشكيل العلاقة بين الفرد والمجتمع، وبين الماضي والحاضر.

أهمية المثال في تأطير المبحث

هذا المثال يُظهر كيف تُمارس الذاكرة الجماعية الفلسطينية من خلال اللغة، ويُبرز فعالية المنهج اللساني في تحليل الشهادات الشفوية بوصفها وثائق لغوية تُعيد بناء التاريخ من منظور شعبي. كما يُبيّن أن اللغة ليست فقط وسيلة للتوثيق، بل أداة مقاومة تُكرّس الحضور، وتُعيد تشكيل الهوية، وتُقاوم النسيان.

يُظهر هذا المبحث أن الذاكرة الجماعية الفلسطينية ليست مجرد استدعاء للماضي، بل ممارسة لغوية مقاومة تُعيد بناء الحاضر وتُوجّه المستقبل. ومن خلال التحليل اللساني، اتضح أن اللغة تُستخدم بوصفها أداة حيوية في تكثيف الذاكرة، وتثبيت الهوية، ومواجهة الإنكار، سواء عبر الشهادات الشفوية أو الأرشفة الرقمية.

في المطلب الأول، تم تحليل الذاكرة الشفوية بوصفها خطابا لغويا يُنتج ضمن سياق تداولي وسيميائي، حيث تُستخدم الحقول المعجمية، وأفعال الكلام، والرموز اللغوية لتوثيق تجربة التهجير، واستعادة المكان، وتكريس الحق. وقد أظهرت الشهادات أن اللغة تُعيد بناء العلاقة بين الفرد والمجتمع، وتُكرّس الرواية الشعبية بوصفها مصدرا للمعرفة التاريخية.

أما في المطلب الثاني، فقد تم تناول الأرشفة الرقمية بوصفها ممارسة لغوية حديثة تُعيد إنتاج الذاكرة في الفضاء الرقمي، من خلال توصيف المواد، وتحديد السياقات، وبناء الرمزية البصرية. وقد أظهر التحليل أن الأرشفة تُسهم في إعادة توزيع السلطة السردية، وتُمنح الرواية الفلسطينية مساحة للظهور، مما يُعيد بناء التاريخ من منظور القاعدة لا القمة.

من خلال هذا المبحث، يتأكد أن المنهج اللساني يُتيح أدوات فعّالة لفهم كيف تُنتج الذاكرة الجماعية الفلسطينية عبر اللغة، وكيف تُمارس بوصفها فعلا مقاوما يُعيد تشكيل الهوية، ويُكرّس الحق، ويُقاوم النسيان. وهو بذلك يُعزّز من قدرة البحث على الربط بين اللغة والتاريخ، ويُفسح المجال لتعدّد السرديات، وتكثيف التأويل، وتثبيت الحضور الفلسطيني في مواجهة الطمس الرمزي.

خاتمة:

أولا: تلخيص عام لمضمون البحث

تناول هذا البحث، عبر خمسة مباحث متكاملة، العلاقة بين اللغة والتاريخ من منظور لساني نقدي، حيث تم تحليل الوثائق التاريخية بوصفها نصوصا لغوية مشحونة بالسلطة، والهوية، والذاكرة. وقد انطلق من فرضية مركزية مفادها أن الوثيقة التاريخية ليست سجلًا محايدًا للوقائع، بل خطابا يُنتج ضمن سياقات اجتماعية وسياسية وثقافية، ويُمارس فعلا تأويليا يُعيد تشكيل الماضي وفقا لمصالح الحاضر.

في المبحث الأول، تم التأسيس النظري للمنهج اللساني بوصفه مدخلا منهجيا لقراءة الوثائق، حيث تم تحليل اللغة بوصفها أداة معرفية وسلطوية تُستخدم في إنتاج المعنى، وتوجيه التأويل، وبناء الرمزية. وقد أظهر هذا المبحث أن النقوش، والمخطوطات، والوثائق الرسمية، والرواية التاريخية، جميعها تُوظّف اللغة لتثبيت الشرعية، وإعادة إنتاج الهوية، وتشكيل الذاكرة الجماعية.

أما المبحث الثاني، فقد خصص لتحليل نماذج مختارة من الوثائق التاريخية، حيث تم تناول النقوش القديمة بوصفها أدوات رمزية تُمارس السلطة عبر اللغة والصورة، والمخطوطات بوصفها فضاءات معرفية تُعيد إنتاج المرجعيات الفكرية والدينية، والوثائق الرسمية الحديثة بوصفها نصوصًا بيروقراطية تُكرّس السلطة من خلال اللغة القانونية والإجرائية. وقد أظهر التحليل أن كل نوع من هذه الوثائق يُنتج خطابا لغوياً يُعيد تشكيل العلاقة بين الفرد والدولة، وبين الماضي والحاضر.

في المبحث الثالث، تم التركيز على الرواية التاريخية المعاصرة بوصفها خطابا مقاوما يُعيد كتابة الذاكرة من منظور جمالي وتأويلي. وقد تم تحليل كيف تُستخدم اللغة في الرواية لتفكيك الخطاب الرسمي، واستحضار الأصوات المهمّشة، وبناء سرديات بديلة تُقاوم النسيان. كما تم توظيف أدوات التحليل اللساني (الدلالي، التداولي، السيميائي) لفهم كيف تُعيد الرواية تشكيل العلاقة بين اللغة والتاريخ، وتُسهم في بناء وعي نقدي يُعيد مساءلة الماضي.

أما المبحث الرابع، فقد تناول المنهج اللساني-التاريخي بوصفه إطارا نقديا لتحليل الوثائق، حيث تم عرض أدوات هذا المنهج، وكيف يُسهم في تفكيك البنية اللغوية للوثائق، وكشف التمثيلات الأيديولوجية، وربط الوثيقة بالسلطة، والهوية، والذاكرة. وقد أظهر هذا المبحث أن المنهج اللساني يُعيد مساءلة الوثيقة بوصفها خطابا لغوياً يُنتج ضمن سياقات سلطوية، ويُسهم في بناء سرديات تُكرّس أو تُقاوم الهيمنة الرمزية.

وفي المبحث الخامس، تم التوسع في تحليل الذاكرة الجماعية الفلسطينية بوصفها ممارسة لغوية مقاومة، من خلال دراسة الشهادات الشفوية والأرشفة الرقمية. وقد أظهر هذا المبحث أن اللغة تُستخدم لتكثيف الذاكرة، وتثبيت الهوية، ومواجهة الإنكار، وأن المنهج اللساني يُتيح أدوات فعّالة لفهم كيف تُنتج الذاكرة عبر الخطاب، وتُكرّس الحضور الفلسطيني في مواجهة الطمس الرمزي.

ثانيا: الإسهام العلمي للبحث

يُقدّم هذا البحث إسهاما علميا متعدد الأبعاد:

- منهجيا: من خلال توظيف المنهج اللساني-التاريخي في تحليل الوثائق، وتوسيع أدواته لتشمل السياق الفلسطيني.

- نظريا: عبر إعادة تعريف الوثيقة بوصفها خطابًا لغويًا يُنتج ضمن سياقات سلطوية، ويُمارس وظيفة رمزية.
- تطبيقيا: من خلال تحليل نماذج فلسطينية متنوعة (نقوش، مخطوطات، وثائق رسمية، روايات، شهادات شفوية، أرشفة رقمية).
- نقديا: عبر تفكيك الخطاب الرسمي، وإبراز الرواية الشعبية، وتكريس الذاكرة بوصفها مقاومة لغوية.

وقد نجح البحث في الربط بين اللغة والتاريخ، وبين الوثيقة والهوية، وبين الخطاب والسلطة، مما يُفسح المجال لتطوير دراسات نقدية تُعيد مساءلة الماضي، وتُكرّس التعدد السردي، وتُعيد الاعتبار للتجربة الفلسطينية في سياقها التاريخي واللغوي.

ثالثا: أبرز النتائج المتوصل إليها

1. اللغة ليست محايدة، بل تُمارس وظيفة سلطوية تُعيد إنتاج الشرعية وتُوجّه التأويل.
2. الوثيقة التاريخية تُنتج ضمن سياق تداولي وسيميائي، وتُخاطب جمهورا مفترضا.
3. أدوات التحليل اللساني تُسهم في تفكيك البنية اللغوية وكشف التمثيلات الأيديولوجية.
4. الرواية التاريخية تُعيد بناء الماضي من منظور مقاوم وتُفكك الخطاب الرسمي.
5. الوثائق تُنتج ضمن سياقات سلطوية تُحدّد من يكتب، ولمن يُكتب، وكيف يُكتب.
6. الهوية تُبنى لغويًا من خلال التمثيل النصي وتحديد "الآخر."
7. الذاكرة تُعاد إنتاجها نصيا، وتُكرّس أو تُقاوم النسيان.
8. الشهادات الشفوية والأرشفة الرقمية تُمارس الذاكرة بوصفها خطابا لغويا مقاوما.

رابعا: التوصيات والاقتراحات

1. توسيع استخدام المنهج اللساني في الدراسات التاريخية.
2. دمج التحليل التداولي والسيميائي في قراءة الوثائق.
3. تشجيع الدراسات المقارنة بين أنواع الوثائق.
4. إعادة قراءة الرواية التاريخية من منظور لساني.
5. تطوير مناهج متعددة التخصصات تجمع بين اللغة والتاريخ والثقافة.
6. إدماج التراث العربي في التحليل اللساني.
7. إعادة تعريف الوثيقة بوصفها خطابًا لغويا حيّا.
8. تعزيز الوعي النقدي في قراءة التاريخ، وتكريس التعدد السردي.

بيانات الإفصاح:

- **الموافقة الأخلاقية والموافقة على المشاركة:** تم الاتفاق على المشاركة في البحث وفقاً للإرشادات الخاصة بالمجلة.
- **توافر البيانات والمواد:** كافة البيانات والمواد متاحة عند الطلب.
- **مساهمة المؤلفين:** يتحمل المؤلفين مسؤولية كافة محتويات البحث والتحليل والمنهجية والمراجعة الكاملة.
- **تضارب المصالح:** لا يوجد تضارب في المصالح لأي طرف من خلال تصميم البحث وتقديمه وتقييمه.
- **التمويل:** لا يوجد أي تمويل مخصص لهذا البحث.

– **شكر وتقدير:** الشكر الجزيل لأكاديمية التطوير العلمي ومجلة المؤتمرات العلمية (JSC) على الدعم والإرشادات (/https://sdasmart.org/jsconf)

المراجع باللغة العربية:

أبو سليم، عارف .(2015) .القرى المهجرة في فلسطين: وثائق العودة والهوية .القدس: مركز بديل للدراسات.
أبو زيد، نصر حامد .(1994) .النص، السلطة، الحقيقة :الفكر الديني بين إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة .بيروت :المركز الثقافي العربي.
البرغوثي، سليم .(2019) .الذاكرة الشفوية الفلسطينية: دراسة تداولية في الخطاب المقاوم .رام الله: مركز دراسات العودة.
التميمي، عبد الله .(2017) .النقوش الإسلامية في فلسطين: دراسة تحليلية في البنية والدلالة .نابلس: مركز إحياء التراث الفلسطيني.
السرطاوي، ناصر .(2019) .الوثائق الوقفية العثمانية في فلسطين: دراسة تداولية في النص الإداري .رام الله: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
الحموري، محمد .(2020) .اللغة والسلطة في الخطاب السياسي العربي .عمّان: دار المسار للنشر.
الطراونة، نوال .(2018) .التحليل التداولي للخطاب التاريخي: دراسة في السياق والمعنى .بيروت: دار الفارابي.
المرزوقي، عبد القاهر .(2001) .دلائل الإعجاز .تحقيق :محمد عبد المنعم خفاجي .القاهرة :دار الحديث.
عواد، إحسان .(1986) .الكتابة العربية ونشأتها .بيروت :دار صادر
قنيبي، عبد الرحمن .(2015) .التحليل اللساني للخطاب التاريخي :دراسة في البنية والدلالة .عمّان :دار كنوز المعرفة
نصر الله، إبراهيم .(2007) .زمن الخيول البيضاء .بيروت: الدار العربية للعلوم.

References:

Anderson, B. (2006). Imagined communities: Reflections on the origin and spread of nationalism. Verso.

- Assmann, J. (2011). Cultural memory and early civilization: Writing, remembrance, and political imagination. Cambridge University Press.
- Bakhtin, M. (1981). The dialogic imagination: Four essays. University of Texas Press.
- Barthes, R. (1977). Image, music, text. Hill and Wang.
- Bourdieu, P. (1991). Language and symbolic power. Harvard University Press.
- Chartier, R. (1997). On the edge of the cliff: History, language, and practices. Johns Hopkins University Press.
- Eco, U. (1976). A theory of semiotics. Indiana University Press.
- Fairclough, N. (1995). Critical discourse analysis: The critical study of language. Longman.
- Foucault, M. (1972). The archaeology of knowledge. Pantheon Books.
- Grossman, E., & Cromwell, J. (2018). Scribal repertoires in Egypt from the New Kingdom to the Early Islamic Period. Oxford University Press.

- Halliday, M. A. K., & Hasan, R. (1989). Language, context, and text: Aspects of language in a social-semiotic perspective. Oxford University Press.
- Historical Discourse Analysis. (2025). Knowledge.Deck.no. https://knowledge.deck.no/languages-and-linguistics/historical-linguistics/historical-sociolinguistics/historical-discourse-analysis
- Ifversen, J. (2000). Tekster er kilder og kilder er tekster: Kildekritik og historisk tekstanalyse. Den Jyske Historiker, 88, 149–174.
- Kress, G., & van Leeuwen, T. (2006). Reading images: The grammar of visual design (2nd ed.). Routledge.
- Montrose, L. (1997). The textuality of history and the historicity of texts. In The New Historicism Reader (pp. 1–15). Routledge.
- Pan, B. (2021). Language, memory and remembering: Explorations in historical sociolinguistics. Language & History, 34(1), 1–4. https://doi.org/10.1080/17597536.2021.1923908
- Petrucci, A. (1999). Writers and readers in medieval Italy: Studies in the history of written culture. Yale University Press.
- Ricœur, P. (1999). Humanities between science and art. Centre for Cultural Research, University of Aarhus.
- Sperber, D., & Wilson, D. (1995). Relevance: Communication and cognition (2nd ed.). Blackwell.
- Van Dijk, T. A. (2008). Discourse and power. Palgrave Macmillan.White, H. (1987). The content of the form: Narrative discourse and historical representation. Johns Hopkins University Press.